

فالسجن مريح أكثر من الناحية الإنسانية، بعد انتهاء فترة التحقيق الأكثر قساوة وكثافة، سيما أنه توافر بيئة اجتماعية واستقرار نسبي وزوال المخاطر...»^(٤١١)

وفي العادة تناط بالمتخفي مهام واسعة تستغرق وقته بالكامل، وقد يعمل يوميا ١٠ - ١٢ ساعة، وقد يصل الليل بالنهار، تبعاً لحجم مسؤولياته، إضافة لساعات القراءة اليومية، فهو يدأب على توسيع ثقافته ومعارفه العلمية ويتعمق إيديولوجيا، وهذا أكثر من ضروري لمهامه.

وهناك أيضاً عائلته، وبشكل اخص الزوجة والأم، إذ ينبغي الاعتراف أن المرور بتجربة التخفي يعني التقصير الجذري نحو العائلة، وهذه حال الذي يخوض تجربة السجن أو الحياة العسكرية أو العمل في باخرة أو السفر لبلد أجنبي... وهذا التقصير ليس قراراً إرادياً بل نتاجاً لخيار ثوري، ولا حاجة لتبكي الضمير... «إذ التقيت بزوجتي لأول مرة بعد عامين وفترة مشابهة فصلتني عن أمي».

لكن ينبغي التمييز هنا بين التخفي في المدن والتحوط في الريف أو حياة الجبل. فكثرة عرفتهم الأرياف كمطاردين، وبعضهم حاول إقامة قواعد فدائية في الجبل والكهوف.

أما المتخفي فيمضي سنوات على رأس عمله بما يتطلبه ذلك من صلة منتظمة وسريعة بمن يقودهم أو يعمل معهم... ولا يناسبه أن يقيم في الريف لفترة طويلة نظراً لمصاعب الاتصال به، أي المواصلات واحتمالات التفتيش... كما أن مناخات الريف الاجتماعية تقليدية ويسهل معها كشف أي وجه غريب، بينما الاتصال بالمتخفي يتطلب انتظاماً وسرعة وتحرراً من فضولية الجيران، والمتخفي قد يلجأ للريف، لكن كإجراء تحوطي انتقالي وحسب، بل إنه أحياناً يغادر مدينته لمدينة أخرى لتأمين سائر أمني أفضل.

وكانت سلطات الاحتلال قد اعتقلت في سنوات الثمانينات وبداية التسعينات قبضة من المفاصل الذين تعرضوا لتجارب تحقيق وحشية ولئيمة، ولكنها لم تنجح في انتزاع إقرار بنشاطهم أو تخفيهم، إذ وجهت (تهمة لمحمود فنون انه عاش طريداً خمسة أعوام وذكريا النحاس سبعة أعوام ووسام الرفيدي تسعة أعوام وعماد السبع أربعة أعوام وحسن أبو خضير وعلي جرادات وهيثم الحموري ثلاثة أعوام واحمد قطامش سبعة عشر عاما. ووسام كتب عن تجربته في رواية الاقائيم الثلاثة. أما أحاديث قطامش في السجن فنوهت بعزمه على كتابة تجربته لاحقاً)^(٤١٢)

(٤١١) متخف سابق

(٤١٢) أسير من الجبهة